



عملية بريد وهران 05 أفريل 1949م خلال مذكرات حسين أيت أحمد
Oran post office operation 05 April 1949 through the memoirs
of Hussein Ait Ahmed

د. حميد أيت حبوش

جامعة وهران 1، الجزائر

hamidaithabouche@yahoo.fr

تاريخ القبول: 2019/05/13

تاريخ الإيداع: 2019/03/16

الملخص:

من بين المذكرات الشخصية التي سلطت الأضواء على تاريخ الحركة الوطنية و الثورة التحريرية ، مذكرات حسين أيت أحمد أحد مفجري الثورة التحريرية ، و سنركز في هذا المقال على أهم انجاز قامت بها المنظمة الخاصة والمتمثلة في عملية بريد وهران يومي 04 و 05 أفريل 1949م و التي تعتبر من أهم العمليات التي خاضها كومندوس المتكون من سويداني بوجمعة ، بلحاج بوشعيب ،أعمر حداد ،محمد علي خيضر و آخرون ، و سمح لهم ذلك الحصول على مبلغ مالي قدره ثلاثة ملايين فرنك فرنسي ساعدت على شراء الأسلحة لتفجير الثورة. لقد ساهمت مذكرات حسين أيت أحمد في تدوين تاريخ الجزائر خاصة حيثيات عملية بريد وهران ، بحيث يمكن اعتبارها مصدرا هاما بالنسبة للباحثين والمهتمين بتاريخ الحركة الوطنية بحكم معايشة صاحبها لأهم الأحداث وإسهامه فيها كعضو بارز في حزب الشعب و رئيس المنظمة الخاصة .

الكلمات الدالة:

المذكرات الشخصية ، حسين أيت أحمد ، بريد وهران ، الجزائر ، المنظمة الخاصة ، حركة انتصار الحريات الديمقراطية .

Abstract:

Among the personal memoirs that have shed light on the history of the national movement and the liberation revolution are the memoirs of Hussein Ait Ahmed, one of the revolutionaries of the liberation revolution, in which we will focus on the realization of the most important of the Special Organization represented by the operation of the city of Oran April 04 and 05, 1949, One of the most important operations of Komundos, composed of Swidani Boudjemaa, Belhadj Bouchaib, Omar Haddad, Mohamed Ali Khaidar and others, which allowed them to receive a sum of three million French francs, and helped to buy weapons to blow up the revolution.



The memoirs of Hussein Ait Ahmed contributed to write the history of Algeria, especially the details of the functioning of the city of Oran, and thus, to be considered as an important source for researchers and those interested in history of the national movement because of Hussein Ait Ahmed's experience of the most important events, and his contribution as a prominent member of the People's Party and the President of the Special Organization.

Key Words:

Personal Memoirs, Hussein Ait Ahmed, Bread Oran, Algeria, Private Organization, Movement for the Victory of Democratic Freedoms.

المذكرات الشخصية هي عبارة عن شهادات، مواقف ، تبريرات و سير ذاتية ، وهي مصدر تاريخي ذو أهمية ومصداقية لقرب أصحابها من الأحداث ، فكتابتها تعد واجبة لأنها تعد خدمة أخرى للوطن و خدمة للأجيال من مختصين وباحثين أكاديميين لتقصي الحقائق التاريخية . و كتابة المذكرات تعتمد بالدرجة الأولى على الذاكرة الشخصية للمناضل أو المجاهد ، فيعتمد على سرد الأحداث و الوقائع ، بالإضافة إلى استناده إلى مجموعة من الوثائق و المصادر الأخرى التي تدعم موقفه و رأيه في قضية معينة حيث نجد العديد من المذكرات تحتوي على وثائق أرشيفية ، يضيف عليها الكثير من الموضوعية و مبدأ إقامة الحجة و البرهان بالدليل المادي ، و كاتب المذكرة سواء كان سياسياً أو عسكرياً دون شك يتأثر بعدة عوامل منها منطلقاته الفكرية و توجهاته ، تكوينه العلمي والدراسي و مذهبه الديني و البيئة التي نشأ بها و المنطقة التي ترعرع فيها و الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها .

و من بين المذكرات الشخصية التي سلطت الأضواء على تاريخ الحركة الوطنية و الثورة التحريرية ، مذكرات حسين أيت أحمد أحد مفجري الثورة التحريرية ، و سنركز في هذا المقال على أهم انجاز قامت بها المنظمة الخاصة والمتمثلة في عملية بريد وهران يومي 04 و 05 أفريل 1949م بشهادة رئيس المنظمة حسين أيت أحمد.

مولد و نشأة حسين أيت أحمد :

هو الحسين أيت أحمد ابن محمد يحي ، أحد أحفاد الولي الصالح الشيخ محند الحسين⁽¹⁾ المعروف و المشهور في هذه المنطقة ، ولد أيت أحمد بتاريخ 20 أوت 1926 بعين الحمام بتيزي وزو ، إلا أنه لم يستطع تسجيله في سجلات الحالة المدنية إلا بعد مرور أربعة أيام ، و من هنا نقول أن تاريخ ميلاده 16 أوت 1926 ، تعتبر عائلة أيت أحمد عائلة كبيرة ذات صلة بالطرق الصوفية في منطقة القبائل ، فهي بذلك ذات سمعة



طيبة و كلمة مسموعة في تلك الأوساط بالإضافة إلى أن المجتمع الجزائري يكنّ الاحترام لمثل هذه العائلات⁽²⁾ .

لم يحض حسين آيت أحمد بطفولة كريمة هنيئة بل كانت طفولته صعبة قاسية تميزت بالبؤس و الفقر و الحرمان وبكثرة الأمراض التي مست بيئته و هو نفس الوضع الاجتماعي و الاقتصادي الذي عانى منه أغلب الجزائريين ، ويقول حسين آيت أحمد في هذا الصدد: "... عشت حياة قاسية كمعظم الأطفال في سني ، بردت و جعت وإذا كنت نجحت في اختبار البقاء ... فهو من باب الصدفة ... " و يضيف : "... و لكن إذا نجى المرء من الموت بالجدري فهو معرض للموت من شح الغذاء و من سوء التغذية .."⁽³⁾

و نذكر أن في هذه الفترة كانت حمى المستنقعات تحصد الأرواح ، فلقد تعرض و هو في سن السادسة و لازمه طيلة سنوات دراسته الابتدائية ، بعد أن جفت المستنقعات لتشجيع الاستيطان ، و لم يكن هناك من يهتم بالوسط المعيشي للأهالي ، كما تميزت هذه الفترة بكثرة الوفيات التي انتشرت و تفشت في الأطفال الذين هم في مثل سنه و طالت حتى عائلته⁽⁴⁾ .

نشأ آيت أحمد في وسط ثقافي مرابطي يعتبر امتدادا للأطر الدينية التقليدية و ترعرع في عائلة تعتبر قبلة للزوار قديما و إلى يومنا هذا ألا و هو مقام الشيخ محند الحسين الذي كانت سمعته طيبة ما جعل منه المرشد الروحي والأخلاقي . و وسط هذا المحيط تعلم معنى الإسلام و قيمه التي ورثها أباه عن جده مما أثر إيجابا في نمو فطرة الوعي عنده⁽⁵⁾ .

و بحكم تأثير المحيط على شخصية آيت أحمد فلا يمكن أن نغفل عن أهم العناصر التي كونت شخصيته ألا و هي العائلة ، و التي ساهمت في تكوين شخصيته حيث نبت نباتا حسنا محافظا و مراعيا للتقاليد المعمول بها والمتعارف عليها سواء داخل القرية أو خارجها حيث كان أبوه محافظا على التقاليد التي ورثها عن أجداده ، أما أمه فيقال أنها ضحت من أجل تربية أبنائها ، كما أنها كانت على معرفة بالشعر و كانت حارسة متقيدة بالتقاليد والعادات⁽⁶⁾ .

ترجع أصول أمه إلى بيت لالة فاطمة نسومر ، التي قاومت الاحتلال الفرنسي في منطقة القبائل و رفضت تواجده ، و كانت تحلم بأن ترى ابنها طبيبا و لهذا قبلت أن يتحول و ينتقل من قرية إلى أخرى ، لمواصلة تعليمه في المدرسة الابتدائية التي تقع في المركز الإداري بالبلدية المختلطة بعين الحمام و ذلك سنة 1932.



دراسته :

مثل ما هو متعارف عليه في جميع القرى و المداشر فإن الصبيان يبدؤون الدراسة في سن مبكرة ، فنجد أن حسين آيت أحمد بدأ دراسته في السن الرابعة من عمره بالمدرسة القرآنية و فيها تعلم الكتابة و القراءة و حتى ترتيل القرآن دون فهم و لا استيعاب و هذا لامتناع المعلم و خوف المدرسين من شرح و تفسير الآيات القرآنية لأن الإدارة الفرنسية وقتها تمنع تعليم النحو و القواعد باللغة العربية ، و هذا خوفا على مصالحها و محاولة محو الشخصية الجزائرية للفرد المسلم⁽⁷⁾ .

و مع بلوغه لسن السادسة انتقل حسين آيت أحمد إلى العيش مع عمته و هذا من أجل التسجيل في المدرسة الفرنسية و كانت لهذه القرية قوانينها العرقية و من بينها أنه كان يلزم كل طفل في سن الخامسة سواء التحقوا بالمدرسة الفرنسية أو لا ، لا يترددون على المدارس القرآنية و هذا ما خضع له آيت أحمد، و كان هو من المحظوظين الذين تمكنوا من مواصلة تعليمهم لأن القلة القليلة من الدواوير من كانوا يملكون مدارس خاصة بهم ، إضافة إلى التهميش من طرف الإدارة الفرنسية⁽⁸⁾ .

تحصل حسين آيت أحمد على الشهادة الدراسية بصفة أهلي " أنديجان " و فرنسي سنة 1939 م و شارك في مسابقة الدخول للثانوية ، وهذا بفضل مساعدة و تشجيع الأستاذ " توم " و كان آيت أحمد من بين الأربعين أو الخمسين الذين تم اختيارهم من الآلاف المشاركين في المسابقة ، و من هنا انتقل آيت أحمد للعيش بالعاصمة سنة 1942م لمواصلة تعليمه الثانوي بثانوية بن عكنون (المقراني حاليا) وصادف هذه السنة نزول الحلفاء في شمال إفريقيا ، و بالتالي تم حجز مباني الثانوية للجيش الأنجلوساكسون فتم نقل الطلبة إلى بوزريعة و بالضبط إلى مدرسة تكوين الأساتذة ، كانت فئة الجزائريين في الثانوية تمثل الأقلية مقارنة بأبناء الأقدام السوداء ، إذ أنهم يعدون بالمئات ، أما الجزائريون فكان عددهم لا يتجاوز الخمسين موزعون على مختلف الأقسام و أصناف التعليم.

و هنا تجدر الإشارة إلى أن آيت أحمد تحصل على الجزء الأول من البكالوريا نظام قديم ، و هو لا يزال طالبا بالثانوية ، وهذا دليل على نبوغه و وطنيته و شغفه الكبير لمواصلة تعليمه ، و بعد دراسة في بوزريعة اضطر آيت أحمد للعودة إلى تيزي وزو في



جانفي 1943 ، و في السنة الموالية انتقل إلى مليانة و التحق بثانوية " فرومونتان " حيث التقى العديد من الشخصيات البارزة التي ساعدته في الانخراط ضمن حزب الشعب الجزائري ، و من بين هذه الشخصيات : محمد بلحاج ، علي العيمش ، و فراج الحداد⁽⁹⁾ .

التعريف بمذكراته :

جاءت مذكرات حسين أيت أحمد بعنوان : روح الاستقلال ، مذكرات مكافح 1942-1952 ، دونها باللغة الفرنسية ، و تم ترجمتها إلى اللغة العربية من قبل الأستاذ سعيد جعفر و نشرت من قبل منشورات البرزخ ، الجزائر سنة 2002 ، و قد جاءت حسب النسخة العربية في 252 صفحة ، وتتضمن مدخلا و تسعة (9) فصول .

فالمدخل هو عبارة عن تقديم للمذكرات من طرف المحامي الأستاذ سعد جبار ، الفصل الأول جاء بعنوان : الطفولة و نشأة الوعي ، الفصل الثاني عنوانه أيت أحمد : بشهر مأساوي ، أسبوع تاريخي ، أما الفصل الثالث فهو بعنوان : وثبة أمة .. يوميات معقل ، الفصل الرابع : عصب في السلطة ، مؤتمر الأمل ، الفصل الخامس : شعب متحمس ، قادة حذرون ، الفصل السادس : المنظمة الخاصة ، الفصل السابع : الفخ الإنتخابي ، اجتماع اللجنة المركزية ، الفصل الثامن : مؤامرات و أوهام .. وقائع انحراف ، الفصل الأخير : المغرب الكبير يتحرك .

مذكرات حسين أيت أحمد ذات قيمة تاريخية و هي شهادة لمجاهد ساهم في الحركة الوطنية و في تفجير الثورة ، قدّم للباحث في ميدان التاريخ الوطني معلومات و مادة تاريخية يستند إليها في أبحاثه الأكاديمية .

سير عملية بريد وهران :

تعود حيثيات العملية إلى بداية سنة 1949 م ، عندما طرحت مسألة العتاد بحدة خاصة أن خزينة حزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية (حزب الشعب) فارغة بسبب التكاليف الباهظة للمعارك الانتخابية ، بينما الدعم المالي للفئات الميسورة موجهة لحزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري و جمعية المسلمين الجزائريين ، أما ما يدخل خزينة الحزب فهي تبرعات من فلاحي الأرياف و الأحياء الشعبية لا تغطي حتى تكاليف صحافة الحزب .

لذلك قررت هيئة الاركان للمنظمة الخاصة قيام بعملية شرط أن تكون مدروسة⁽¹⁰⁾



ففي نهاية جانفي ، أبلغ جلول نميش⁽¹¹⁾ الهيئة عن عمليتين ممكنتين، فهناك القطار البريدي الذي يأتي من بشار في نهاية كل شهر ، محملا بمئات الملايين ، أو بريد وهران المركزي ، حيث تتراكم أموال هامة في كل أول يوم اثنين من الشهر .

لقد تم دراسة المسألة في اجتماع ضيق حضره في الجزائر بن بلة و بلحاج و رقيمي ، و لقد رفض حسين أيت أحمد السطو على القطار البريدي مبرا ذلك بقوله : " لسنا في الفار ويست ، في بلاد الكابوي ، فعملية كهذه كانت تتطلب تنظيما للهجوم و للانسحاب لا يمكننا تحقيقه ، إذن سنقوم بعملية بريد وهران " . كان عليهم أن يتحصلوا على الضوء الأخضر من المكتب السياسي ، فأخبر حسين أيت أحمد الأعضاء المؤثرين فرديا بالمشروع ، مؤكدا أن الحزب سيكون بمنأى عن أي تورط ، ففي حالة انكشاف الأمر أو القبض عليهم ، سيتظاهرون بأنهم جماعة يسارية متطرفة أخذت المبادرة خفية . و لقد وافق حسين لحول الأمين العام للحزب على القرار⁽¹²⁾ .

و في شهر فبراير أخذ حسين أيت أحمد القطار نحو وهران مع أحمد بن بلة لتنظيم اللقاء مع نميش ، و تم اللقاء في الواجهة البحرية التي تطل على شاطئ وهران ، فتطرقوا إلى موضوع المهمة و رسم لهم نميش صورة دقيقة عن البريد قائلا : " تفتح الشبابيك على الساعة الثامنة ، و يحضر الموظفون قبل ذلك بحوالي ربع ساعة ، لتحضير الأوراق والوثائق ، فلا بد للعملية أن تتم في هذا الحيز من الوقت ، و لا يمكن في أقصى الحالات أن تزيد أكثر من دقيقتين أو ثلاث بعد بداية استقبال الجمهور . و كان هناك شيء آخر حاسم بالنسبة لنا أن الدخول إلى مكتب المداومة التلغرافية ينبغي أن يتم هو أيضا عبر الباب الخلفي⁽¹³⁾ . أما بالنسبة للمبيت ، قام سويداني بوجمعة⁽¹⁴⁾ بإيواء أيت أحمد و بن بلة في فيلا التي كان يسكنها في ضواحي وهران بشارع فيكتور هوجو و هذا من أجل التخطيط للعملية و تقرر أن يقود سويداني بوجمعة الكومندوس الذي سيتكفل بالهجوم على مركز بريد وهران .

و قدم حسين أيت أحمد تبريرا لهذه العملية التي لم يكن يعتبرها عملا بوطوليا كبيرا ، و أكد على حجم الاستغلال الذي يتعرض له الشعب الجزائري و الاضطهاد الاستعماري الذي هو سبب فقر الفئات الثورية ، أي الحركة التي تريد خوض الكفاح من أجل تحرير البلاد ، فمن البنوك و مكاتب البريد تمر ثروات جمعت من عرق وبؤس المواطنين ، ولم يكن من السهل تقبل طرق كفاح قد تبدو شبيهة بعمليات الإجرام⁽¹⁵⁾ .



ولقد باءت المحاولة الأولى إلى الفشل والتي من المفروض أن تتم في بداية شهر مارس نظرا للعطب الميكانيكي الذي عطل السيارة عن الوصول إلى مبنى البريد، حيث اتخذ سويداني القرار السريع والحكيم بعدم تنفيذ العملية⁽¹⁶⁾

أما المحاولة الثانية كانت يومي 4 و5 أفريل ، و هي متشابهة تماما مع المحاولة الأولى ، الإختلاف فقط في نوع السيارة طراكسيون التي تم الحصول عليها بعد حجز صاحبها ، و هو طبيب .وحسب التقرير الذي رفعه سويداني بوجمعة لحسين أيت أحمد فإن العملية تمت على الشكل التالي :

" وصل رجال الكومندوس دون عوائق تذكر إلى قاعة خزينة الأموال و هناك واجههم حدث لم يكن منتظرا ، تمثل في مقاومة القابض الرئيسي الذي لم يكف عن الصراخ : (النجدة ، النجدة) ، تمكن بلحاج بوشعيب⁽¹⁷⁾ وعمر حداد⁽¹⁸⁾ من السيطرة عليه ، قاما بضربه حتى فقدان الوعي بعصيهما المطاطية من النوع الذي تملكه شرطة مكافحة الشغب ، و لكن بعد أن أغمي عليه ، كيف يمكن فتح الخزينة الحديدية ؟ لم تكن لديهم المفاتيح و لا الأرقام السرية الضرورية لذلك . و زيادة على ذلك ، كان صراخه قد لفت انتباه الزبائن و الفضوليين الذين بدءوا يتجمعون في المدخل . و لم يبق من حل سوى نسيان فكرة السطو على الحصيلة الكبرى ، و الاكتفاء بما هو في متناول اليد . و بينما قام رجلان من الكومندوس بمراقبة الموظفين ، كان الثلاثة الآخرون يجمعون كل الأوراق النقدية التي يجدونها في الصناديق و يفرغونها في أكياسهم و جيوبهم و حتى بين قمصانهم و جلودهم ، كما فعل عمر حداد ، ثم انسحب الكومندوس بطريقة منظمة ، و كان بوشعيب يغطي العملية برشاشه (المات)⁽¹⁹⁾...

وعند باب الخروج تحرك السائق محمد علي خيضر⁽²⁰⁾ ليوقف السيارة عند المدخل ، لكن الجموع المتواجدة عند المدخل منعت انطلاق السيارة إلا أنها تراجعت إلى الخلف بمجرد ظهور بوشعيب برشاشه الذي حركه بطريقة توحى بأنه متأهب للقصف .فانطلق خيضر مع الكومندوس بسرعة فائقة إلى مكان بعيد أين سلموا السيارة لصاحبها و هو طبيب⁽²¹⁾.

لقد حققت العملية التي نفذت بنجاح مبلغا ماليا فاق ثلاثة ملايين فرنك و هو مبلغ مهم⁽²²⁾ ، وصل بن بلة في الصباح إلى وهران ، وقام بإخلاء الفيلادون لفت الانتباه ، و أمن الغنيمة قبل أن يتم تحويلها إلى الجزائر العاصمة ، و حضر النائب محمد خيضر



بسيارته البرلمانية لاستلام المال ، علما ، الحصيلة التي كانت في الخزينة الحديدية تقدر بخمسين مليون فرنك (23)

خاتمة

يمكن القول بأن المذكرات تبقى مصدر هام في كتابة تاريخ الجزائر وثورتها، لأن أصحابها كانوا ينقلون الأحداث من مكانها وزمانها ودونها لتبقى شهادة حية للتاريخ وللأجيال التي تلي، ورغم ما يمكن أن تحويه من تناقضات مختلفة باختلاف كتابها إلا أن المؤرخ الحقيقي يجب عليه أن يخضع الحادثة للتحليل والتمحيص حتى يصل إلى حقائق تاريخية.

ومما سبق التطرق له نجد بأن مذكرات حسين أيت أحمد قد ساهمت في تدوين تاريخ الجزائر خاصة حيثيات عملية بريد وهران ، بحيث يمكن اعتبارها مصدرا هاما بالنسبة للباحثين والمهتمين بتاريخ الحركة الوطنية بحكم معاشة صاحبها لأهم الأحداث خلال سنوات 1942-1952 وإسهامه فيها كعضو بارز في حزب الشعب و رئيس المنظمة الخاصة ..

الهوامش :

- 1- من شيوخ الطريقة الرحمانية المشهورة ، وله مقام معروف باسمه و هو قبلة للزوار ، حيث كان حكيما و شاعرا توفي سنة 1902 م
- 2- حسين أيت أحمد ، روح الإستقلال ، مذكرات مكافح (1942-1952)، تر : سعد جعفر ، منشورات البرزخ ، الجزائر 2002، ص 15
- 3- نفسه ، ص 15
- 4- نفسه ، ص ص 16،15
- 5- أمال شلبي ، التنظيم السياسي في الثورة الجزائرية (1954-1962) ، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر ، اشراف عبد الكريم بوصفصاف ص 120
- 6- حسين أيت أحمد ، المصدر السابق ، ص 17
- 7- يحي بوعزيز ، سياسة التسلط الاستعماري و الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954 ، دار البصائر للنشر و التوزيع 2009م ، ص 34
- 8- حسين أيت أحمد ، المصدر السابق ، ص 18
- 9- محمد حربي ، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، تر: نجيب عياد ، صالح متلوتي ، 1994م ص 185
- 10- حسين أيت أحمد ، المصدر السابق ، ص ص 183،184
- 11- إسمه الحربي ، القبطان بختي ، و هو مسؤول في المنظمة الخاصة بوهران كان موظفا في مصلحة الموظفين ، صار وزيرا للمجاهدين بعد الاستقلال .
- 12- نفسه ، ص 184
- 13- نفسه ، ص 185



- 14- كان مسؤولا عن المنظمة الخاصة بمدينة سكيكدة ، تعثرت العملية التي قادها و المتمثلة في نقل الديناميت إلى الحروش ، و تمكن بأعجوبة من الافلات من الاعتقال ، فتقرر نقله إلى وهران .
- 15- حسين أيت أحمد ، المصدر السابق ، ص 188
- 16- نفسه ، ص ص 189 ، 190
- 17- كان نائب شيخ بلدية عين تموشنت ، تكفل بمهمة البحث عن العناصر المؤهلة للتجنيد في المنظمة الخاصة في الونشريس سنة 1948م
- 18- منااضل معروف بالعيون الزرقاء ، و هو من بلدة صبرة ، تلمسان
- 19- حسين أيت أحمد ، المصدر السابق ، ص 194
- 20- هو شاب مختص في صناعة القنابل ، كان ضمن الجماعات المتخصصة في الهندسة ، و لم تكن تربطه أية صلة قرابة مع نائب الجزائر و عضو المكتب السياسي محمد خيضر .
- 21- حسين أيت أحمد ، المصدر السابق ، ص 195
- 22- لقد سلم الحزب نصف مليون من هذه الغنيمة للمنظمة الخاصة أي ما يعادل خمسة أضعاف نفقاتها الشهرية القصوى
- 23- حسين أيت أحمد ، المصدر السابق ، ص 195